أحمد الكاشف

١٨٧٨- ١٩٤٨

من الرعيل الأول من شعراء الوطنية، ولد سنة ١٨٧٨ بالقرشية من بلاد مركز السنطة غربية، وهو ابن المرحوم ذو الفقار الكاشف، وجده من ضباط الجيش المثري الذين خاضوا غمار المعارك في عهد محمد علي، تلقى علومه الأولية في منزل والده بالقرشية، ثم التحق بمدرسة الأقباط الابتدائية بطنطا حتى استوفى دراسته، ثم عاد إلى بدلته وأقام فيها، ومالت نفسه منذ صباه إلى الشعر والأدب، وكان الشعر طبيعة له وسليقة، فعكف على المطالعة وأكب على كتب الأدب ودواوين الشعراء المتقدمين يدرسها ويستوعبها، فحاكاهم في الأسلوب والبلاغة، واتجهت نفسه إلى نظم الشعر في المعاني الوطنية، فجادت قريحته بشعر وطني من الطراز الرفيع، ووقف حياته على هذا اللون من الشعر، وعاش عمره عيوفا أبيا، ومعتكفاً في بلدته (القرشية)، وفي ذلك يقول عن نفسه:

ولقد تحاشيت المدائن زاهداً ... وبددت أطلب وحدة وسكونا

لا أرتضي غير الطبيعة مأنسا ... والذكر كأسا والقريض خدينا

وله قصائد عصماء نظمها في مختلف المناسبات، وغبر فيها أبلغ تعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوطنية، وظل وفيا لمبادئه طول حياته، وتألق شعره في سماء الأدب والوطنية، وبلغ الذروة في هذا المجال.

اتفاقية السودان

قال عن اتفاقية السودان التي أكرهت مصر على إمضائها سنة ١٨٩٩ على اثر انتصار الجيش المصري في السودان.

انتصـــرنا ومـــا الـــذي قـــد جنينـــا ... هـ مـــن النصـــر بعـــد طـــول الغنـــاء؟
مـــا عنينـــا ســـوى (الوفـــاق) جـــزاءا ... إن هـــذا الوفـــاق شـــر جـــزاء
وإذا شـــارك الضـــعيف قويـــا ... فـــي منـــال فحظـــه كالهبـــاء

الجندي في المعركة

وطنـــي أنـــت الحبيـــب الـــدائم ... لـــك فـــي قلبـــي المقـــام الأشـــرف
وغرامـــي بـــك طبـــع لازم ... ســـرني أنـــي بـــه متصـــف
لـــك أســـعى دائبـــاً مجتهـــداً ... برجـــاء ثابـــت مقتـــدر
لا أبـــالي فـــي طريقـــي أبـــداً ... طـــال ليلـــي أو تمـــادي ســـهري
وطنـــي أفـــديك بـــالروح إذا ... مســـك الـــدهر بســـوء لا يطـــاق
وأرى اللـــذة فـــي دفـــع الأذى ... عنـــك بـــالنيران والبـــيض الرقـــاق
دمـــت يـــا نيـــل أبـــر الأنهـــر ... بنفـــوس كـــم رأت منـــك وفـــاء
دمـــت تجـــري يـــا شـــبيه الكـــوثر ... مهـــدي الـــوادي هنـــاء ورخـــاء
دمـــت يـــا صـــحراء ميـــدان الجنـــود ... بـــين قطريـــك اللـــذين اتحـــدا
مظهـــراً للبـــأس مـــن بـــيض وســـود ... يضـــمن النصـــر لنـــا والســـؤددا

قصيدته في اللورد كرومر سنة ١٩٠٧

لما رحل اللورد كرومر عن مصر على أثر حاثة دنشواي، شيعه الكاشف بقصيدة ندد فيها بطغيانه وجبروته قال:

أعيـــا عزائمـــك القضـــاء الأغلـــب ... وطـــي صـــحيفتك الزمـــان القلـــب

أرأيـــت كيـــف يفاجـــأ الســـباق فـــي غايتـــــه ويقـــــاطع المتوثـــــب
ولبثـــت تبـــدو فـــي زخـــارف مخلـــص للقـــوم تخفـــي مـــا اعتزمـــت وتحجـــب
غـــــافلتهم حينـــــا فلـــــم يتلفتـــــوا إلا ونابـــــك فـــــيهم والمخلـــــب

وذكر حادثة دنشواي وكيف فرح المصريون بإقصائه عن منصبه:

وختمـــت عهـــدك بالـــذي اهتـــزت لـــه أركـــان (مكـــة) واســـتعاذت (يثـــرب)
وتـــنفس الصـــعداء شـــعب حامـــل همـــا يضـــيق بـــه الفضـــاء الأرحـــب
مـــاذا كســـبت وأنـــت عنـــا راحـــل إلا الجفـــاء وبـــئس هـــذا المكســـب

ينذر الإنجليز

وقال يخاطب وينذرهم سوء العاقبة:

قلـــدتم الرومـــان فـــي اســـتعمارهم هـــلا ذكـــرتم منتهـــى الرومـــان؟
اليـــوم ســـؤددكم وســـؤددنا غـــدا كـــم أدرك المتمـــادي المتـــواني
رحمـــاكم فينـــا لنـــذكركم إذا دار الزمـــان وحالـــت الحـــالان
إنـــا لنرجـــو مـــن بنينـــا عـــدة لا عـــدة الجيـــران والضـــيفان

يندد بوزارة مصطفى فهمي

قال في إبريل سنة ١٩٠٨ يدعو وزارة مصطفى فهمي إلى الاستقالة، وكانت بغيضة إلى الشعب:

أفـــي كـــل يـــوم يشـــهد النيـــل نابغـــا يعـــيش فنرجـــوه ويقضـــي فنجـــزع [1]
ولـــيس لكـــم فـــي موســـم الحـــى مظهـــر ولـــيس لكـــم فـــي مـــأتم الميـــت مفـــزع

---

(١) يشير إلى مصطفى كامل وقد توفى في فبراير سنة ١٩٠٨.

لقـــد ســـئمت تلـــك الكراســـي مكـــثكم ... فهـــلا شـــعرتم وهـــي تشـــكو وتضـــرع [1]
وهـــــلا اعتـــــزلتم منصـــــباً لا ينـــــيلكم ... مـــن الأمـــر إلا أن تـــذلوا وتخضـــعوا؟
أخـــــاف علـــــيكم أن تموتـــــوا وأنـــــتم ... أضـــر مـــن العـــادي علينـــا وأشـــنع
فـــإن شـــئتم أن يعفـــو النيـــل عـــنكم ... ويكبـــركم أبنـــاء مصـــر ويرفعـــوا
فخلـــــوا وزارات الـــــبلاد لأهلهـــــا ... إذا أرعـــد الجبـــار لـــم يتزعزعـــوا
إذن لـــــرأيتم مـــــا رأي مـــــن كرامـــــة ... ومرحمـــــة ذاك الشـــــهيد المشـــــيع [2]

يمجد الفلاح ويمدحه

وقال بمدح (الفلاح المصري):

إذا اســـــتبقيت فـــــي الـــــدنيا حبيبـــــا ... فخيـــــر أحبتـــــي فـــــلاح مصـــــر
كـــــريم يمـــــلأ الـــــوادي ثـــــراه ... ولا يلقـــــي ســـــوى الإجحـــــاف أجـــــرا!
فقيـــــر مـــــا أراده شـــــكا افتقـــــارا ... ولـــــو يجـــــزي علـــــى تعـــــب لأثـــــري
فمحـــــراث يشـــــق الأرض عنـــــدي ... ويخـــــرج مـــــن ثـــــراه الخصـــــب تبـــــرا
كســـيف فـــي يـــد الجنـــدي لاقـــى ... بـــــه جيشـــــا وحصـــــنا مشـــــمخراً

صلته بمصطفى كامل

كان الكاشف صديقاً ونصيراً لمصطفى كامل، وكان لدعوة الزعيم وتعاليمه صداها في قصائده، وكان مصطفى يقدره ويعجب به ويسميه (شاعر الغربية النابغة)، وكثيراً ما كان هو يردد كلمات مصطفى كامل ومعانيها ويصوغها في قالب شعري رفيع.

---

(١) مكثت وزارة مصطفى فهمي تتولى الحكم ثلاثة عشر عاما من نوفمبر سنة ١٨٩٥ إلى نوفمبر سنة ١٩٠٨، وكان عهدها خضوعا وتسليما للاحتلال البريطاني.

(٢) يشير إلى مصطفى كامل.

قال عن صلة الخطابة بالشعر:

ولـــئن هـــززت العـــالمين فـــإن مـــن تلـــك الخطابـــة هـــذه الأشـــعارا

وقال يردد كلمة مصطفى كامل (لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا):

لـو كنـت فـي الخلـد أو فـي غيـره ملكـا وددت لـو أننـي فـي مصـر إنسـان!

وقال في محاربة اليأس:

ومـــا معنـــى القنـــوط وأنـــت حـــي ومـــا معنـــى القنـــوط مـــع الحيـــاة؟

وقال في قيمة الاستقلال:

إن الـــبلاد بـــلا اســـتقلال صـــاحبها قفـــر لديـــه وأصـــبحن جنـــات

ولما مات الزعيم رثاه الكاشف بمرثية رائعة بلغت نحو مائة بيت، قال فيها:

لهفـــي عليـــك وقـــد رحلـــت اليـــوم لـــم تـــدرك لغرســـك فـــي الـــبلاد ثمـــارا

إلى أن قال يشر إلى الرحلة التي كان يعتزم الزعيم القيام بها في الشرق:

لهفـــي ومـــا لاقتـــك (يثـــرب) ضـــيفها وخطيبهـــا المسترســـل المكثـــارا
لهفـــي عليـــك ولـــم تســـر متفقـــدا فـــي الهنـــد إخوانـــا لمصـــر حيـــارى
لهفـــي ولـــم تنقـــل مـــن اليابـــان مـــا يهـــب الـــبلاد حضـــارة وعمـــارا
قـــد كنـــت مزمـــع هجـــرة لـــو قـــدرت قربـــت أعوانـــا لمصـــر كبـــارا
وجمعـــت بـــين الســـابقين وأمـــة مهضـــومة تتتبـــع الآثـــارا

ثم يستنكر على وزراء مصر وقتئذ تخلفهم عن تشييع جنازة الزعيم خشية إغضاب الإنجليز قال:

ويـــل الـــذين تخلفـــوا عـــن مشـــهد ... مشـــت الملائـــك حولـــه إكبـــارا
هـــل يعرضـــون ترفعـــاً وتكبـــرا ... أم يســـكنون تهيبـــا وحـــذارا؟

ثم يصف احتشاد الأمة يوم تشييع الجنازة قال:

يـــا قائـــد الأبطـــال هـــذا جيشـــك الـــ ... ـــجرار فـــانظر جيشـــك الجـــرارا
يـــوم كيـــوم الحشـــر ضـــمهم وكـــم ... رحبـــت فـــي أرب لهـــم مضـــمارا
فلـــئن بكـــوا فلقـــد بكيـــتهم وهـــم ... غربـــاء فـــي أوطـــانهم وأســـاري
أو يحملـــوك علـــى رءوســـهم فقـــد ... أصـــعدتهم فـــوق النجـــوم فخـــارا

وختم مرثيته بقوله:

أشـــهدت مصـــر علـــى عـــلاك ونيلهـــا ... وصـــعيدها والنبـــت والأحجـــارا
لـــو لـــم تســـل قطـــع النفـــوس لشـــيدوا ... منهـــا لـــك التمثـــال والتـــذكارا
مـــا مـــات مـــن ورثـــت منـــاه أمـــة ... تجـــري علـــى منهاجـــه اســـتمرارا

يحمل على سياسة الوفاق، ويعاتب الخديو عباس الثاني

في سنة ١٩٠٩ كان سياسة الوفاق بين الخديو عباس الثاني وإنجلترا تسيطر على الجو السياسي في مصر، وكان هدف هذا السياسة محاربة الحركة الوطنية، وبدت مظاهر هذه السياسة في تنكر الخديو للكفاح الشعبي ومناصرته للاحتلال وسياسته.

نظم الكاشف هذه القصيدة سنة ١٩٠٩ يحمل فيها على سياسة الوفاق ويخاطب الخديو عباس الثاني ويعاتبه ويحذره مغبة الاستنامة إلى وعود الإنجليز، وهي من أبلغ قصائده وأقواها:

أهـــلاً وســـهلا بالوفـــاق ومرحبـــا ... لـــو كـــان فيـــه قضـــاء مـــا وعـــدوكا
إن كنـــت مشـــترط (الجـــلاء) فواجـــب ... لـــك أن نـــودهم كمـــا ودوكـــا
خيـــر لنـــا أن يعلنـــوا البغضـــاء مـــن ... أن يعلنـــوا ذا الموثـــق المفكوكـــا

حاســـــنتهم لتـــــرد عنـــــا شـــــبهة ... كـــم حـــاربوك بهـــا ومـــا حربوكـــا؟
مـــا كـــان حبـــا مـــا تـــرى لكنـــه ... كـــتم المخاتـــل ســـره المهتوكـــا
أرأيـــت كيـــف وشـــى بكـــل مهـــذب ... حـــر فكـــان الآفـــك المأفوكـــا؟
اليـــوم يشـــكونا إليـــك ومـــا بنـــا ... غيـــر الوفـــاء وفـــي غـــد يشـــكوكا
أعيـــا علـــى أوهامـــه ووعيـــده ... هـــذا المـــراس فقـــام يستصـــفيكا

* * *

مـــاذا تـــرى فـــي غاصـــبين يســـوءهم ... أنـــا نحـــس وأننـــا نروكـــا
أتخـــاف شـــكوى المخلصـــين ولـــم تخـــف ... فيمـــا مضـــى عـــدوان مضـــطهديكا؟
يـــا ليـــتهم جعلـــوا القيـــود لكـــل ذي ... نظـــر ومـــا انتقمـــوا بـــأن حجبوكـــا
هـــل كـــان مســـمعك الســـلام مشـــاغبا ... أم كـــان غيـــر مشـــوق رائيكـــا؟
إنـــا وإيـــاك ابتلينـــاهم فهـــل ... صـــدقوا الـــورى يومـــا وهـــل صـــدقوكا؟
أولـــى بهـــم وقـــد اتهمـــا نصـــحهم ... أن لا تصـــــدقهم إذا نصـــــحوكا

* * *

أرهـــم مراســـك قبـــل أن يستأســـدوا ... إنـــا لنخشـــاهم إذا أمنوكـــا
يـــا حبـــذا يـــوم (الجـــلاء) ولا نـــرى ... جنـــدا يصـــول ولا دمـــا مســـفوكا

يخاطب اللورد كتشنر

في سنة ١٩١١ عين اللورد كتشنر معتمداً لبريطانيا في مصر، وكان معروفا عنه الصلف والغطرسة، فاستقبله الكاشف بقصيدة رائعة تفيض وشمماً وإباء، قال في مطلعها:

مهـــلاً لتمـــتحن الطريـــق خطاكـــا ... إن كلفـــوك لغايـــة إدراكـــا
فـــي مصـــر شـــعب لا يضـــام ومالـــك [1] ... متفـــرد لا يقبـــل الإشـــراكا

---

(١) لعله يقصد المالك الأمة فهي مصدر السلطان ولا تقبل إشراكا في سيادتها.

مـــا أنـــت حـــابس نيلهـــا يومـــاً ولا ... أهرامهـــــا مهدومـــــة بقواكـــــا
الله أكبـــر مـــن جيوشـــك ســـطوة ... والـــدهر أبعـــد مـــن مـــدى مرماكـــا

إلى أن قال:

هـــل يـــذنب الجرحـــى إذا هـــم حـــاولوا ... دون الضـــواري صـــيحة وحراكـــا؟
لســـنا قطيعـــاً غـــاب راعيـــة كمـــا ... كنـــا ولســـت الضـــيغم الفتاكـــا
إن كنـــت طلـــق الوجـــه أو متجهمـــا ... فـــالله يعلـــم منتهـــي نجواكـــا
ولعـــل شـــأنك فـــي مشـــيبك غيـــر مـــا ... أســـلفته فـــي عنفـــوان صـــباكا

إلى أن قال:

واذكـــر لـــوادي النيـــل نعمتـــه عســـى ... تعطـــي بنيـــة بعـــض مـــا أعطاكـــا
فـــإذا تجـــاوزت الكنانـــة فـــافتتح ... مـــا شـــاء عزمـــك واصـــعد الأفلاكـــا
فـــي غيـــر مصـــر ذرائـــع ومواقـــع ... للمســـتزيد مطامعـــا وعراكـــا
ولـــئن غضـــبت علـــى الأبـــاة فصـــبرهم ... أولـــى وأجمـــل مـــن رجـــاء رضـــاكا
فـــاعرف لهـــم عـــذر الحـــريص إذا هـــم ... لـــم يســـلموا لـــك مـــا تنـــال يـــداكا

يبشر بالاشتراكية

في أعقاب الحرب العالمية وبعد توقيع معاهدة الصلح في فرساي (مايو سنة ١٩١٩) بين ألمانيا والحلفاء، نظم الكاشف قصيدة عصماء تناول فيها شتى المعاني السياسية والوطنية. فمن قوله يبشر بالاشتراكية:

للاشـــتراكية العقبـــى إذا شـــملت ... شـــتى الشـــعوب وجاراهـــا المجارونـــا
فـــلا الكثيـــرون ملكـــاً للأقلينـــا ... ولا الأقلـــون ملـــك للكثيرينـــا
ولا نـــرى واحـــداً مـــلأى خزائنـــه ... بالمغنيـــات وآلافـــا يجوعونـــا
ولا نـــرى درة فـــي رأس محـــتكم ... تهفـــو إليهـــا قلـــوب المســـتظلينا

يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر

وقال في هذه القصيدة يندد بغدر الإنجليز وتنكرهم لمصر بعد أن عاونتهم في تلك الحرب:

يا نائلين من الحرب العوان سوى ... ما كان منتظرا منها ومظنونا
نجوتم من رزاياها ومالكم ... لا تذكرون وفاقا غير ناجينا؟
مد الحديد لكم في كل مرحلة ... وذللوا لكم أطوادها لينا [1]
ورابطوا لأعاديكم على هدف ... وألحقوا النيل بالأردن ساقينا
وكم عتبخ على قوم لأجلكم ... وهو إلينا الأحباء المحبونا
وقلتم لم ينل قوم بغير دم ... حرية فبذلناه مضحينا
ونال من دمنا في عصر جندكم ... ما نال منه عداكم في فلسطينا
فهل غسلتم خطايا الأبرياء به ... أم لا تزال خطيئات البريئينا؟
أتستهينون بالإنسان ماثلكم ... وتؤثرون عليه الماء والطينا؟
هبوا حمى مصر والسودان مزرعة ... أيرهق الأجراء المستغلونا؟
ورثتم خصمكم ميتا وصاحبكم ... حيا، ومازلتم في الأرض تسعونا

***

(١) يشير إلى تسخير العمال المصريين في مدى السكك الحديدية في سيناء إلى العريش أثناء الحرب العالمية الأولى.

جربتمـــو مصـــر فـــي تقييـــدها زمنـــا ... فجربـــوا مصـــر فـــي إطلاقهـــا حينـــا
أمنـــتم مصـــر فيمـــا نـــال أمـــتكم ... فـــأي شـــيء علـــى مصـــر تخافونـــا؟
وقلـــتم: مصـــر للهنـــد الســـبيل فـــإن ... ضـــاع الســـبيل أضـــعنا الهنـــد ســـاهينا
أمـــا إلـــى الهنـــد إلا مصـــر مـــن ســـبل ... مـــلأى شـــواهين أو مـــلأى ســـراحينا [1]
يهـــدد الهنـــد أهلـــوه وجيرتـــه ... ولا يـــزال ســـبيل الهنـــد مأمونـــا
خـــافوا ســـوانا وأعطونـــا أمانينـــا ... فمـــا تضـــركم يومـــاً أمانينـــا
وإن فـــردا لـــذى ملـــك يبـــر بـــه ... خيـــر لـــه مـــن جماعـــات يثورونـــا
عـــن أي شـــيء لمصـــر تســـألون وقـــد ... هـزت مسـائل مصـر الهنـد والصـينا [2]
بالســـيف والنـــار يـــدعو النـــاس جنـــدكم ... وتطلبـــون مـــن الصـــراعى مجيبينـــا
ضـــعوا السلاســـل عنـــا واطلبـــوا جـــدلا ... تـــروا أدلـــة مصـــر والبراهينـــا
وربمـــا قبلـــت دعـــواكم دول ... وأق مصـــر أبـــاة غيـــر راضـــينا
ليـــت الـــذي حـــرم الألمـــان غـــايتهم ... أخـــاف قومـــا ســـواهم لا يبالونـــا
ليـــت مـــن زاد قومـــا قـــوة وغنـــى ... يرعـــى ويحـــرس أقوامـــاً مســـاكينا
أتســـفكون لمظلـــوم دمـــاءكم ... وبـــالكلام علـــى عـــانْ تضـــنونا؟
وهـــل وفيـــتم بميثـــاق لمصـــر كمـــا ... رعيـــتم العهـــد للبلجيـــك موفينـــا؟
كـــم أعجبـــتكم مـــن الأحـــرار عـــزتهم ... كـــانوا مـــوالين أو كـــانوا معادينـــا
فهـــل ذكـــرتم وأكبـــرتم لنـــا غرضـــا ... كمـــا ذكـــرتم وأكبـــتم (وشـــنطونا) [3]
كـــم أنجـــب البطـــل الأحـــداث عاليـــة ... وأنجـــب الحـــدث الأبطـــال عالينـــا
كنـــا أمانـــة دهـــر عنـــدكم وأتـــى ... وقـــت الأداء فهـــل أنـــتم مؤدونـــا؟
وقـــد أقـــر لمصـــر كـــل منتصـــف ... بحـــق مصـــر فهـــل أنـــتم قرونـــا؟
قـــد أصـــرت علـــى اســـتقلالها فعلـــى ... أي المـــآرب أصـــبحتم مصـــرينا؟

---

(١) السراحين: الذئاب.

(٢) يشير إلى تأليف الحكومة البريطانية اللجنة المعروفة بلجنة ملنر بدعوى البحث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ والوسائل لملافاة هذه الأسباب.

(٣) جورج واشنطون محرر أمريكا، وكان على رأس الجيش الوطني الأمريكي الذي حارب الإنجليز وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ بعد أن انتهت الحرب بظفر الأمريكان.

يحذر قومه من التحالف مع بريطانيا

وفي هذا القصيدة (التي نظمها في أواخر سنة ١٩١٩) يحذر قومه من فكرة التحالف بين مصر وبريطانيا. قال:

أواهبـــون لمصـــر كـــل مـــا طلبـــت ... أم آخـــذون بمقـــدار ومعوطنـــا؟
وإن رفعـــتم عـــن الـــوادي حمـــايتكم ... فمـــا اســـم لاحقهـــا فيمـــا تســـمونا؟
وإن تـــروا بـــدلا منهـــا (محالفـــة) ... فمـــن لنـــا بضـــمانات المســـاوينا؟
إنـــا لنعجـــز عـــن حـــق الحليـــف وعـــن ... حـــق الشـــريك وأنـــتم تســـتزيدونا
ومـــا مجـــاورة الأقـــوى وشـــركته ... إلا كمـــا جـــاور العصـــفور شـــاهينا
أدعـــوا بنـــي مصـــر أنـــدادا لكـــم ودعـــوا ... ولاة مصـــر ملوكـــا أو ســـلاطينا
وغادروهـــا لأكفـــاء تجـــاربهم ... تغنـــيهم عـــن تكـــاليف المشـــيرينا
يفـــدون مصـــر وإن شـــاكت منابتهـــا ... وإن جـــرى نيلهـــا مهـــلا وغســـلينا
وإن تـــدفق فـــي البيـــداء منصـــرفا ... وإن أقـــام وراء الســـد مخزونـــا
أحـــرارا مصـــر تبـــاريهم حرائرهـــا ... ففاديـــات كمـــا نرجـــو وفادينـــا

يندد بالاستعمار والطغيان

وفي هذه القصيدة يندد بالاستعمار والطغيان ويحملهما مسئولية الحرب الطاحنة التي أكتوت الشعوب بنارها. قال:

أمضـــى علـــى الصـــلح قـــوم يعبثـــون بـــه ... وقـــد نـــأى عنـــه قـــوم غيـــر ممضـــينا
تـــنفس الصـــعداء اليـــوم بعضـــهم ... ولـــم يـــزل بعضـــهم أســـوان محزونـــا
هـــل يعـــرف الـــدهر حربـــا كـــالتي شـــهدت ... تلـــك الثمـــاني يتلوهـــا ثمانونـــا
صـــناعة هـــي يعتـــز الملـــوك بهـــا ... علـــى العبـــاد الأذلاء المطيعينـــا
أم كانـــت المـــرض المـــوروث فـــي دول ... أعيـــت طبائعهـــا الســـود المـــداوينا
مـــا كـــان أكبـــر آثـــام الأنـــام ومـــا ... أذكـــى وأغلـــى الضـــحايا والقرابينـــا
أيـــن الأســـرة والتيجـــان أســـألها ... عـــن الملـــوك الطغـــاة المســـتبدينا
الـــرافعين علـــى الأشـــلاء دورهـــم ... المـــالئين دمـــا تلـــك الميادينـــا
جنـــت علـــى ملكهـــم أســـلاب غيـــرهم ... فهـــل تـــذكر هـــذا المســـتغلونا؟

إلى أن قال:

دانـــت لعســـكر (ولســـون) جبـــابرة وأيـــن مـــا صـــنعت آراء ولســـونا [1]؟
أغـــرى البريـــة باســـتقلالهم ونـــأي عـــنهم وهـــم بالـــذي أغـــرى يهيمونـــا

القوة سناد الحق

والحـــق فـــي كـــل عصـــر فاقـــد ســـنداً إن لـــم يجـــد طلبـــاً بالبـــأس مقرونـــا
فـــذو الســـلاح هـــو المرهـــوب جانبـــه إذا انثنـــى الأعـــزل المغلـــوب مغبونـــا

أمل مصر في بنيها

وختم هذه القصيدة الرائعة بقوله:

مـــن لـــم يـــر اليـــوم فـــي العمـــران موضـــعه لـــم يلـــق فـــي غـــده دنيـــا ولا دينـــا
ونحـــن أولـــى بـــأن نرعـــى مواطننـــا نـــوفي المكاييـــل فيهـــا والموازينـــا

مؤتمر لوزان
الحق للقوة

في سنة ١٩٢٣ ترامت الأنباء عن مؤتمر لوزان بأنه يخذل مطالب الشعوب الشرقية فقال الكاشف يدعوها إلى القوة والتعاون في مكافحة الاستعمار:

---

(١) ولسون الرئيس الأسبق لجمهورية الولاية المتحدة الأمريكية، يشير الشاعر في هذا البيت والأبيات التالية إلى مبادئ ولسن التي أعلنها حين دخول أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها وكيف تنكر لها بعد انتصار الحلفاء.

عـودوا إلـى البـأس بعـد اللـين فهـو لكـم ... قـد يفعـل البـأس مـا لا تفعـل الخطـب
لاحـــق للشـــرق إلا فـــي معاقلـــه ... والحـــق منقلـــب فـــي الغـــرب مغتـــرب
هـل يملـك الحكـم فـي (لـوزان) خصـمكم ... ودونـــه فـــي ســـوى لـــوزان مضـــطرب
مـــا كـــان (كـــرزون) بـــالموفي لأمتـــه ... ودون مـــا يبتغيـــه الهـــول والنـــوب

إلى أن قال:

إنـــي لأشـــفق مـــن يـــوم علـــى دول ... يقضـــي الحديـــد عليهـــا فيـــه واللهـــب
ممالـــك الشـــرق والإســـلام تـــذكرة ... فالشـــرق أســـوان والإســـلام ينتحـــب
أيـــن الأمانـــة والميثـــاق بيـــنكم ... والبيـــت منتهـــب و(القـــدس) مغتصـــب
مجـد الرجـال علـى مقـدار مـا بـذلوا ... مـن الـدم الحـر لا الـدمع الـذي سـكبوا
ذودوا عـن الـوطن الغـالي وعـن شـرف ... بـذل النفـوس لـه بعـض الـذي يجـب
ومـــن أراد حيـــاة العـــز طيبـــة ... فـــالأرض تحملـــه حـــرا أو الشـــهب

***

يـــا وافـــد الشـــرق جوابـــا بـــلا ســـند ... فـــي الغـــرب ينتظـــر العقبـــى ويرتقـــب
مصـــير كـــل قبيـــل بعـــد جولتـــه ... مـــا خطـــه فـــي فـــروق الفتيـــة النجـــب
فـل الخطـاب لهـم بعـد القضـاء غـداً ... فـي سـارئر الأمـر جـد القـوم أولعبـوا
أيـــن الســـلام وأيـــن العـــاملون لـــه؟ ... وأنـــــه أمـــــل الأبـــــرار والأرب
كـــل يمـــد وراء الغيـــب غايتـــه ... ولـــيس يعلـــم مـــا يـــأتي بـــه رجـــب

يتندر على عيد ١٥ مارس سنة ١٩٢٢

قال من قصيدة له في مارس سنة ١٩٢٣ يتندر على عيد الاستقلال الذي يجعلوا تاريخه يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ حيث أعلن الملك فؤاد استقلال مصر على اثر صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

يـــا عيـــد الاســـتقلال أنـــت لـــه خيـــال أم حقيقـــة؟

للعتـــــــق أم للـــــــرق مـــــــا ... خطـــــوة فـــــي تلـــــك الوثيقـــــة
أ مبهرجـــــــان تحفـــــــي الـــــــ ... ـــــظمأى وتحتفـــــــل الغريقـــــــة؟
وتنـــــــال مصـــــــر مرامهـــــــا ... مـــــن بعـــــد مـــــا ســـــدوا طريقـــــه [٢]
يتكلفـــــــــون [١] الصالحـــــــــ ... ـــــات لهـــــا وتأباهـــــا الســـــليقة
إن أطلقـــــــوا أمـــــــس الـــــــبلا ... د فمـــــــنهم ليســـــــت طليقـــــــه
وحديقـــــــة أضـــــــحت ولـــــــ ... ـــــكن للغريـــــب جنـــــى الحديقـــــة
وإن اســـــــــــتبد بنيلهـــــــــــا ... قتـــــل الشـــــقيقة بالشـــــقيقة [٣]

***

وأحـــــــــر أكبـــــــاد إلـــــــى ... حريـــــــة الـــــــوادي مشـــــــوقة
هـــــــذا زكـــــــي دمـــــــي لهـــــــا ... أجـــــد الرضـــــا فـــــي أن أريقـــــه

***

أتخـــــــاذل زعمـــــــاء مصـــــــ ... ـــــر أمـــــام هاويـــــة عميقـــــة؟
أي العقـــــــاب أحـــــــق بالـــــــ ... ـــــرجل الـــــذي يـــــؤذي رفيقـــــه
عـــــاد الغـــــريم لمصـــــر يعـــــ ... ـــــبس بعـــــد خدعتـــــه الدقيقـــــة
فـــــإن افتـــــرقتم عنـــــده ... كنـــــتم جمـــــيعكم فريقـــــه

---

(١) الإشارة هنا أيضاً إلى الإنجليز.

(٢) يشير إلى الإنجليز الذين وضعوا العقبات أمام مصر في جهادها لتحقيق أهدافها.

(٣) مصر والسودان.

يحذر من نوايا الإنجليز ويدعو النواب إلى أداء واجباتهم

وقال من قصيدة له يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذي اجتمع فيه البرلمان الأولى وكان سعد زغلول يتولى رئاسة وزارة الأغلبية.

سـلاما على حصنكم والعلم ... ورعيا لندوتكم في الأمم
سلاما على ذلك الملتقى ... سلاما على ذلك المزدحم

إلى أن قال:

أمانة مستوثق معلن ... لكم من سرائره ما كتم
وهذا غريمكم [١] الملتوي ... تجمل بعد الأذى واحتشم
تولى بغاياته عابساً ... وعاودها فاتنا فابتسم
إلى أجل أم إلى منتهى ... مراميه يلزمكم ما التزم
وهل ينجلي الأفق أم يرتمي ... بعاصفة بعد هذا النسم
ولو كان يعرف عقبي النزا ... ع في الحق من زمن لا نحسم

وقال يدعو إلى التآخي وصفاء القلوب بين المواطنين:

وليس يقال فريق هفا ... وليس يقال فريق ظلم
يضيع على مصر هذا النعيـ ... ـم إن لم يكن كل بيت أجم
وما أنا بالآمن المطمئن ... إلى المستعد الذي لم ينم [٢]
أعد المرابط في المسلكين ... ومن ملك المسلكين اقتحم
وهل يترك الذئب عاداته ... وإن لبس الذئب ثوب الغنم؟

* * *

(١) يقصد الاحتلال.

(٢) يرد الإنجليز.

وداهيـــــــة مرجـــــــف بالـــــــذي تعـــــدي بـــــه غيـــــره فـــــانهزم
ولـــــيس الـــــذي قالـــــه حجـــــة فقـــد ألـــف النـــاس هـــذا الـــنغم
وهـــل يســـتطيع اغتصـــاب الرقـــا ب مـــن بمـــراس النفـــوس اصـــطدم
ومـــا صـــنعت بـــالمغير القـــلا ع صـــنع إبـــائكم والشـــمم
وحســـبكم شـــملكم عـــدة وحســـبكم صـــبركم معتصـــم
ومـــا أحســـن العفـــو مـــن قـــادر إذا مـــا اشـــتهى حاقـــد وانـــتقم
ســـيجلو عـــن الأرض جبارهـــا ويلبـــث فيهـــا كـــريم الشـــيم
ولا دولـــة لســـوى المصـــلحين ولا ملـــك لأهـــل الهمـــم

عيوب الحزبية

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له حين اشتد التناحر بين الأحزاب، يدعو إلى نبذ الخصام:

وقفـــت ومـــا أدري أعـــد حوادثـــا تـــدور أمـــامي أم أعـــد ذنوبـــا
تحملـت عـن قـومي نصـيباً مـن الأسـى ولـم أرج مـن أجـر الجهـاد نصـيبا
وأمعنـــت فـــي غيـــب المقـــادير علنـــي أرى فرجـــا للأمتـــين قريبـــا
ولـــيس بمغـــن أمـــة خصـــب أرضـــها إذا لـــم يكـــن خلـــق الرجـــال خصـــيبا

تنـــازع قـــومي اليـــوم جنـــداً وقـــادة فلـــم أر إلا ســـالبا وســـليبا
مبـــادئ أحـــزاب أرى أم منافعـــا توالـــت صـــنوفا بيـــنهم وضـــروبا؟
تقضـــت حـــروب العـــالمين ولـــم أزل أرى بـــين أبنـــاء الـــبلاد حروبـــا
بقـــومي علـــى قـــومي اســـتعان غـــريبهم فصـــال شـــمال واســـتطال جنوبـــا
فمـــن لهمبـــا لمنفـــذ الأمـــر حازمـــا إذا لـــم يطيعـــوا نافـــذا وحســـيبا
يـــردهم بعـــد القيطعـــة والنـــوى رفاقـــا كمـــا يلقـــي العليـــل طبيبـــا

قريتي

قصيدة نظمها بهذا العنوان سنة ١٩٣٦، يصور فيها حياته في بلدته (القرشية) ويؤثرها على حياة المدن، قال:

جمعت في العيد حولي ساتر الآل ... وملتقى الآل حولي كل آمالي
أبا دعوني وما لي فيهم ولد ... ولست للقوم غير العم والخال
كأنني وهم في الدار مطلع ... منهم على أمم شتى وأجيال

إلى أن قال في إيثاره الإقامة في الريف:

أقمت في الريف لا أشقى بطاغية ... من الرجال ولا لاه وختال
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة ... فيما ملكت وماء فيه سلسال
وأطلت فيها اعتزال العالمين ولي ... بكل ناحية همي وأشغالي
لقيت في عشرة الجهال عاطفة ... لم ألقها من رجال غير جهال

يحذر قومه من مفاوضات سنة ١٩٣٦

وعرج في هذه القصيدة بالمفاوضات التي كانت جارية وقتئذ بين مصر وبريطانيا وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦، فحذر قومه من مغبة هذه المفاوضات، قال:

ولم أزل بينهم للخصم متقيا ... دخلائلا هي في ذهني وفي بالي
أخشى على رسلهم نيابته وهم ... منه أمام جلاميد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته ... يدور فيها بأشكال وألوان
وموضع النأد أرجو عنده لهم ... لا موضع الصيد من أنياب رئبال
وقد يكون لهم من ضيقهم فرج ... كما تدافع أهوال بأهوال

وظل الكاشف في قريته وعزلته، وفيا لشعره ومبادئه، إلى أن أدركته الوفاة في ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨.